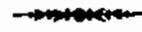


تعقيد « التعقيد » .. ١

للاستاذ أحمد عبد اللطيف بدر



قرأت، ما دار حول تدريس العربية في الأزهر، واطقت أذنت هذا الموضوع في جريدة القطم في ٢٦ - ٨ - ١٩٤٧، فلم يبد أحد رأياً حوله، لوقوف الاتجاهات الفكرية، وعدم الخروج عن دائرة التزمّت الملمى، لكن الأيام تنير الأفكار، وتلاين الصلابة الفكرية، فيما تدناؤنا القى بسطناه حينئذ: « هل تلك التواليف المتعددة .. على قبايتها - قد حصرت القواعد حصراً يمكن الأخذ بها؟، أو أنها تنافرت واضطربت وكانت عقبة يتعذر بها على متشوف العلم التفهم والاستقلال في التعرف؟ ... »

« إن التصانيف الموضوعية في هذه العلوم على ركائز أسلوها، وتنافر بحوثها غير مجدوية في باب الانتاج الملمى، والمدارسة في مجموعها سائرة على غرارها، ويكاد الآخذون يرددون ألفاظها من دون أن يجملوا للإبتكار والتفنن في التباير وطيفة يشهدون عليها في إيضاح الطريقتين وكشف الأمرار عن المعينات المفترزة بالأقرب ومناقشات جوفاء لا تمت إلى البحث الملمى بأدى صلة، ثم « التعقيد » بتباير موضوعه كالقوانين التي لا يتصرف فيها أقل تصرف، فمقت القواعد تحاكي « الاسطوانات » المكرورة - وبقيت اللغة محرومة من القايصة المقولة وحددها المصنفون الأعاجم ذرو البيان اللتوى، والمنطق الأبركم نجدبدا وضمها في الأغلال، ولم ينظر إليها المحدثون نظر البصير بل إزدادوا في تحملاتهم والعصر يتطلب السهولة، والبراعة، والسرعة وطلاقة الفكر، والتجديد، وسراوضة العقول على كيفية التمهيل ... »

« إن الحياة تتطالب ألوانا من التفكير نابية لألوان الأيام. وإذا كان الكاتبون في علوم البلاغة، والنحو، والصرف، قد انتحوا إلى الناحية اللفظية وخطاوا، واضطربوا، فليس لنا أن نأخذ منهم طريقهم، لأن عصرنا يخالف عصرهم والأفكار تنمى بطبيعتها مع المصور ... »

برمت العقول بما تمدته « الحوائش » وأثباها من الافتراضات البعيدة الذاهية بمحققة العلوم إلى ما وراء الخيال، وورقت الإفاضة إلى حد المناقشة في أسلوب التعاريف البلاغية والنحوية ونقد حدودها بأسلوب يحتاج إلى التقد، وبدهى أن طالب الاستفادة لا يشغله غير ما يبدله على موطن استفادته، أما الأوهام التي يدل عليها قولهم: « فإن قيل »، فليس لها مدخل في الصمم فتح تشذب هذه التالف وتؤخذ الإبداء حتى تكون سائفة مقبولة؟

« إن الأعراب كانوا يتطفون بالسليقة والقطرة، فلم يعرفوا التناقض وضمف التاليف، والحركة الظاهرة والمقدرة، والإظهار، والأظهار، والاتصال، والانفصال - بل كانوا يرسلون القول إرسالا . »

« إن معرفة الآراء واجبة، لكن التكليف والارغام، والموافقة والاستسلام، لا يجب أن تكون حاجزا بين المناقشة وطرد مالا تستسيغه العقول فليس واجبا حصر العقول في خلافاً سيويه والكسائي والقراء وابن خروف وابن جنى، أو متابعة أقوال السكاكي والزمخشري والقزويني - لأن بحوثهم استطرادية ... »

« الطريقة المثلى التي يجب أن تدرس بها علوم اللغة تكون في الانتصار على الاستشهاد من أقوال العرب الخالصين بالقواعد التي وضمها الأقدمون ثم الإشارة إلى المواضع التي اختلفت فيها الأقوال . »

« يجب أن يقوم بعض المصطلمين بعلوم اللغة، الواقفين على أسرارها بوضع كتب علمية خالصة تحمل القواعد في أسلوب بعيد عن التلوى والتأويل، والتجوز، والمجازرة . »

وقلت في جريدة « الجهاد »: إن لغة التاليف في صكيب الأزهر تقوم على التلوى والمداورة، والتأويل، والتحوير، والإفاز والتمعية - واللغة العربية عينة لينة بعيدة عن التكلم والنموض بل هي أحفل اللغات في التوسع والتجوز، وحملت ألفاظها بالترادفات، وكثرت التباير المجازية والكنايية في سلاسة وقرب مأخذ .

لكن السادة المؤلفين - وهمم الله - كانوا يرون البراعة